الدكتور محمد الوادي

ماستر الأدب المغربي وجدلية الإبداع والنقد

الفصل الثاني/2019 - 2020

مادة مقاربة لسانية لإيقاعات الشعر العربي

الأبنية المقطعية للأجزاء العروضية

1. تتكون الأبنية المقطعية للأجزاء العروضية من المقاطع الأصلية في اللغة العربية، أي المقطع الخفيف: [س ح]، والمقطع الثقيل بشكليه المفتوح والمغلق: [س ح ح]، [س ح س]، دون المقاطع الفرعية [ح س]، [س ح ح س]، [س ح س س]، كما هو مبين في هذا التقطيع المقطعي للأجزاء العروضية الثمانية:

فَاعِلُنْ

/ف ـَـ . ع ـِـ. ل ـُ ن/

/ س ح ح . س ح . س ح س/

عفُ ولُنْ

/ف ـَ . ع ـُـ . ل ـُ ن/

/ س ح. س ح ح . س ح س/

مَفَاعِيلُنْ

/م ـَ . ف ـَـ.ع ـِـ . ل ـُ ن/

/ س ح. س ح ح. س ح ح . س ح س/

مُسْتَ فْعِ لُنْ

/م ـُ س.ت ـَ ف. ع ـِ . ل ـُ ن/

/ س ح س. س ح س. س ح. س ح س/

فَاعِلاتُ نْ

/ف ـَـ. ع ـِـ. ل ـَـ .ت ـُ ن/

/ س ح ح. س ح. س ح ح.س ح س/

مَفْعُ ولاتُ

/ م ـَ ف . ع ـُـ. ل ـَـ . ت ـُ/

/ س ح س. س ح ج. س ح ح. س ح/

مُتَ فاعِلُنْ

/م ـُ . ت ـَ .ف ـَـ . ع ـِ . ل ـُ ن/

/ س ح.س ح. س ح ح. س ح. س ح س/

فَاعَلَتُنْ

/م ـُ . ف ـَـ . ع ـَ.ل ـَ . ت ـُ ن/

/ س ح . س ح ح . س ح .س ح . س ح س/

وانطلاقا من هذا التحليل المقطعي للأجزاء العروضية الثمانية، يمكن أن نسجل الملاحظات التالية:

1. 2. الأبنية المقطعية لـ:فَعُ ـولُنْ، مَفاعِيلُنْ، مُفاعَلَتُنْ.

من بين الأجزاء العروضية الثمانية المذكورة أعلاه، هناك ثلاثة أجزاء فقط، تبدأ أبنيتها المقطعية بمقطع خفيف بعده مقطع ثقيل مفتوح، على هذا النحو:

عفُ ولُنْ مَفَاعِ يلُنْ مُفاعَلَتُنْ

/ف ـَع ـُـ ل ـُ ن/ /م ـَ ف ـَ ـَع ـِـ ل ـُ ن/ /م ـُ فـَـ ـَع ـَ ل ـَ ت ـُ ن/

/ س ح▪س ح ح▪ س ح// س ح▪س ح ح▪س ح ح// س ح▪س ح ح▪س ح▪ س ح▪س ح س/

فالبناء المقطعي **/ س ح▪ س ح ح/** الذي تبدأ به هذه الأجزاء العروضية الثلاثة، هو الذي يسميه العروضيون العرب القدامى « الوتد المجموع »، ويعتبرون الأجزاء التي تبدأ بهذه الوحدة العروضية أصلية، تتفرع عنها أجزاء تتقدم فيها الأسباب على الأوتاد، و يفسر لنا الدماميني أصلية الأجزاء العروضية التي تبدأ بوتد، وفرعية تلك التي تبدأ بسبب بقوله." وإنما جعل الجماعة هذه الأربعة أصولا، لأن الأسباب لضعفها إنما تعتمد على الأوتاد، وما يكون معتمدا عليه حقيق بالتقدم ليعتمد ما بعده عليه. فكانت قضية البناء على هذا الأصل، أن تكون أصول التفاعيل هي هذه الأجزاء الأربعة فقط، لأنه لاشيء من الأجزاء مصدرا بوتد غيرها."[1] ونفهم من كلام الدماميني، أن الأجزاء الأصلية في العروض العربي أربعة، منها الثلاثة المذكورة أعلاه، أما الجزء الرابع الذي يبدأ بما يسميه العروضيون « الوتد المفروق »، فسنبين أنه جزء مصطنع، مشكوك في عروضيته. وقبل الحسم في ذلك، يمكن أن نمثل

[1] الدماميني، العيون الغامزة على خبايا الرامزة، ص. 28.

للأجزاء العروضية الأصول التي تبدأ بوتد والأجزاء الفروع المشتقة منها انطلاقا من نظرية التقليب[2] في العروض العربي على هذا النحو: [3]

(أ) الأجزاء الأصول:	**فَعُولُنْ**	**مَفَاعِيلُنْ**	**مُفَاعَلَتُنْ**	**فَاعِلاتُنْ**
	[وج- سخ]	**[وج- سخ- سخ]**	**[وج- سث- سخ]**	**[وف- سخ- سخ]**
(ب) الأجزاء الفروع:	**فَاعِلُنْ**	**مُسْتَفْعِلُنْ**	**مُتَفَاعِلُنْ**	**فَعْوُلاتُ**
	[سخ- وج]	**[سخ- سخ- وج]**	**[سث-س- وج]**	**[سخ- سخ- وف]**

وقد وقف العروضيون العرب القدامى عند كيفية اشتقاق الأجزاء الفروع من الأجزاء الأصول في كل دائرة من الدوائر العروضية الخمس، ويلخص لنا الدماميني اشتقاق، أو فك كل جزء عروضي أصل من جزء عروضي فرع، على هذا النحو:

(أ): فاشتقاق (فَاعِلُنْ) من (فَعُولُنْ) يتم بواسطة تقديم السبب الخفيف على الوتد المجموع، قال الدماميني:" الأصل الأول (فَعُولُنْ) وهو مركب من وتد مجموع فسبب خفيف، وله فرع واحد وهو: (فَاعِلُنْ) وكيفية تفريعه عنه أن يتقدم السبب على الوتد، فتقول (لن فعو)، فيحدث الفرع المذكور وهو (فاعلن)."[4]

(ب): واشتقاق (مُسْتَفْعِلُنْ) من (مفاعيلُنْ) يكون بتقديم السببين الخفيفين على الوتد المجموع، قال: " الأصل الثاني (مَفَاعيلُنْ) وهو مركب من وتد مجموع فسببين خفيفين .. وكيفية تفريعه عنه، أن تقدم السببين معا على الوتد، فتقول (عيلن مفا) فيحدث هذا الفرع."[5]

(جـ): ويتم اشتقاق (مُتَفَاعِلُنْ) من (مُفَاعَلَتُنْ) بتقديم السبب الثقيل على الوتد المجموع، وهذا واضح في كلام الدماميني عند قوله: " الأصل الثالث (مُفَاعَلَتُنْ) وهو مركب من وتد

---

[2] هذه النظرية اعتمدها الخليل أولا في معجم العين، حيث كان يأخذ كل جذر ويقلب صوتياته إلى مختلف تأليفتها الممكنة، ثم نقل صاحب العين هذه النظرية إلى العروض العربي، وقد سبق لنا أن كتبنا مقالا في الموضوع تحث عنوان " نظرية الاشتقاق الأكبر في العروض العربي" (انظر الوادي 2016).

[3] **[وج.]:** وتد مجموع، [وف.]: وتد مفروق؛ **[سخ.]**: سبب خفيف. **[سث.]**: سبب ثقيل.

[4] العيون الغامزة على خبايا الرامزة، ص. 26.

[5] نفسه، ص. 27.

مجموع فسبب ثقيل، فسبب خفيف، وله فرع واحد مستعمل وهو (فتَ فاعِلُن)، وصفة تفريعه عنه، أن تقدم السببين بحالهما على الوتد، فتقول (علتن مفا)، فيحدث هذا الفرع." [6]

(د): والأصول الثلاثة السابقة، كلها تبدأ بوتد مجموع، ولكن هناك أصل رابع يبدأ بما يسمى « الوتد المفروق» صنعه العروضيون العرب القدامى رسما، بفصل العين عن اللام في الجزء فاعلاتن ذو الوتد المجموع، هذا على الأقل ما يفهم من كلام الدماميني عند قوله: " الأصل الرابع (فاع لاتن) المفروق الوتد، وهو مركب من وتد مفروق فسببين خفيفين. وكثير يفصل العين عن اللام في الكتابة إيذانا للناظر فيه من أول الأمر بأن وتده مفروق، وليحصل الفرق بينه وبين (فاعلاتن) المجموع الوتد خطاً."[7]

وبما أن المعتبر في التقطيع العروضي هو اللفظ، وبما أن للجزء (فاع لاتن) ذو الوتد المفروق نفس البناء المقطعي لفاعلاتن ذو االوتد المجموع، كما يظهر في التحليل المقطع:

فَاعِلاتُنْ	فَـاعِ لاتـُنْ
/ف ـَـ ـَـ ع ـِـ ل ـَـ ـَـ .ت ـُـ ن/	/ف ـَـ ـَـ ع ـِـ ل ـَـ ـَـ .ت ـُـ ن/
/ س ح ح. س ح. س ح ح.س ح س/	/ س ح ح. س ح. س ح ح.س ح س/

فإن (فاع لاتن) ذو الوتد المفروق، جزء غير طبيعي في العروض العربي، صنعه العروضيون العرب القدامى بناءا على الرسم وليس اللفظ، لأن المعتبر في التقطيع العروضي عندهم هو اللفظ فقط، فمن ذلك قول الأخفش" ألا ترى أن التنوين يحسب به في الشعر، ولا يكون في الكتاب، لأن حروف الشعر الأُذُنَ والسَّمَع بهما تعرف استقامته من انكساره، وحروف الكتاب العين."[8] ومن ذلك أيضا قول الجوهري" وأما التقطيع، فيُراعى فيه اللفظ دون الخط، فيوضع المتحرك بإزاء المتحرك، والساكن بإزاء الساكن، ويعد كل تنوين حرفا،

---

[6] نفسه، ص. 27.

[7] نفسه، ص. 28.

[8] كتاب العروض (ص. 115- 116) ، ويبدو أن التمثيل للتنوين بفتحتين أو ضمتين أوكسرتين، كان غير معروف في عصر الأخفش، يدل على ذلك قوله في كتاب العروض(ص. 11) : " للمضموم غير المنون واو، وللمكسور خط تحته، وللمفتوح خط فوقه، فإن كان شيء من ذلك منونا جعلت له نقطتين."

وكل تشديد حرفين، ويعد الخروج من القوافي حرفا، وكذلك المجرى." [9] فبما أن الأمر كذلك، فإن الوتد المفروق في (فاع لاتن) وارد رسما لا لفظا. ومن تم فإنه جزء مصنوع، ولا يمكن وضعه إلى جانب الأجزاء الأصول التي تبدأ بوتد مجموع.

ومما يدل على عدم شرعية هذا الجزء في العروض العربي، أنه لا يستجيب لقاعدة صواتية يسميها العروضيون الخرم، وتعمل هذه العلة في الأجزاء الأصول الثلاثة التي تبدأ بوتد مجموع أي: فعولن، مفاعيلن، مفاعلتن، دون هذا الجزء، وعن هذه القاعدة الصواتية يقول ابن عبد ربه: " الخرم لا يدخل إلا في كل جزء أوله وتد، وذلك ثلاثة أجزاء: فعولن، مفاعلتن، مفاعيلن، وهو سقوط حركة من أول جزء،."[10] واضح من كلام ابن عبد ربه أن علة الخرم حكم عروضي خاص بالأجزاء الثلاثة التي تبدأ بوتد، وبما أنه لم يذكر الوزن (فاع لاتن)، فهذا دليل على أنه غير معني بهذه العلة، لأنه يبدأ بسبب في اللفظ، وأن وتده المفروق موجود خطا فقط، ويبقى أن نشير أن علة الخرم لاتحذف حركة الوتد فقط، كما جاء في هذا النص، وإنما تحذف الحركة والساكن الذي يوجد قبلها، أي أنها تحذف متحرك الوتد، أي المقطع الخفيف الذي يبدأ به، ذلك أن البناء المقطعي للوتد المجموع في هذه الأجزاء الأصول الثلاثة، يتكون من مقطع خفيف فثقيل مفتوح، أي: / **س ح. س ح ح**/، كما بينا أعلاه، والخرم هو حذف مقطعه الخفيف على هذا النحو:

الأجزاء الأصول:	فعولن	مفاعلتن	مفاعيلن
البناء المقطعي:	/فَ عُـ ـُو لُ ن//	مُ فَـ عَـ لَـ تُ ن//	مَ فَـ عَـ ـِي لُ ن/
حذف(= خرم)	Ø	Ø	Ø
خرج القاعدة:[11]	[عُـ ـُو لُ ن]	[فَـ اعَـ لَـ تُ ن]	[فَـ اعَـ ـِي لُ ن]

---

[9] عروض الورقة، (ص.12).

[10] العقد الفريد (275/6).

[11] وعندما يحذف المقطع الخفيف في فعولن، يسميه العروضيون: أثلم، فإذا كان حذف هذا المقطع الخفيف في مفاعلتن سموه: أعضب، فإذا وقع هذا الحذف في مفاعيلن سموه: أخرم، وتتعدد أسماء هذه العلة عند العروضيين، والقاعدة الصواتية واحدة، حذف مقطع خفيف من أول كل وتد مجموع.

فعدم استجابة الوزن (فاع لاتن) لعلة الخرم دليل على أنه لا يبدأ بوتد، وأن ما يسمى بالوتد المفروق، لا يوجد في هذا الوزن إلا على مستوى الرسم، وأن الوزن الطبيعي الذي له شرعية في العروض العربي هو: فاعلاتن، الذي له وتد مجموع يقع بين سببين خفيفين، والذي له بناء مقطعي مختلف عن الأبنية المقطعية للأجزاء الثلاثة التي تبدأ فعلا بوتد، وبما أن هذه الوحدة العروضية توجد وسط فاعلاتن وليس في أوله، فإن بناءه العروضي و بناءه المقطعي أيضا لم يستجب لعلة الخرم .

ولهذا نظير في صواتة اللغة العربية، فالصوتيات التي تكون بينها قرابة صوتية، مثل الانتماء لنفس المخرج، أو الاشتراك في نفس السمة الصوتية، فهذه الصوتيات تتقاسم بعض الأحكام الصواتية، مثل حكم الإبدال مثلا، فإذا أخذنا الصوتيات الصفيرية في اللغة العربية، أي:/ س، ص، ز/، وجدنا هذه الصوتيات تتناوب في كلام العرب الفصحاء،مثل قولهم:[سَقْر، صَقْر، زَقْر]،[12] ولكن لا أحدهم منهم قال في اسم هذا الطائر: *[ضَقْر]، لأن الضاد يختلف مخرجا وصفة (=سمة) عن الصفيريات، ومن تم لم يشاركها هذا الحكم الصواتي، ومن ذلك أيضا أن العرب قالت: مَكّة وبَكّة، ولكن لا أحد منهم سمى هذه المدينة الحجازية: *[فَكّة]، لأن مخرج الفاء " من باطن الشفة السفلى و أطراف الثنايا العليا"،[13] بينما مخرج الباء والميم معا "من بين الشفتين"،[17] فهذا الاختلاف في المخرج بين هذه الصوتيات، هو الذي يفسر خروج الفاء عن حكم صواتي مشترك بين الباء والميم.

ومثل ذلك أيضا أن الصوتيات الرنانة التي يجمعها القدماء في قولهم (يرملون) بينها قرابة صوتية تتمثل في وجود حاجز ضعيف يعترض مجرى الهواء الصاعد من الرئتين عند النطق بها، ونظرا لهذه القرابة الصوتية هناك قرابة صواتية بينها أيضا، تتمثل قي أنها تشترك في حكم صواتي يتمثل في أن النون الساكنة[14] تدغم فيها بغنة أو بدون غنة.[15] وهناك

---

[12] انظر أمثلة من هذا القبيل في كتب الإبدال: مثل كتاب القلب والإبدال لابن السكيت، وكتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي، وكتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي، بالإضافة إلى باب الإبدال في كتب النحو والصرف.

[13] كتاب سيبويه (433/4).

[14] ولهذه النون أربعة أحكام صواتية: االإقلاب، والإخفاء والإدغام والإظهار (انظر نماذج من هذه الأحكام في كتب القراءات خاصة.

[15] انظر أنثلة على ذلك في كتاب الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش الغرناطي، (ص. 246 وما بعدها).

حكم صواتي آخر للنون الساكنة وهو الإظهار،[16] حيث تحقق النون الساكنة من مخرجها من طرف اللسان، ويكون ذلك مع الحلقيات، أي: / ء، هـ، ع، ح، غ، خ/، أما القرابة الصوتية بين هذه الصوتيات مجتمعة، فتتمثل في أنها تنتج في نفس الحيز النطقي الذي يمتد من الحلق pharynx إلى الحنجرة larynx. ووجود هذه القرابة الصوتية هو الذي سوغ وجود هذا الحكم.

وهكذا فإن الأحكام الصواتية لها مايسوغها صوتيا في كلام العرب، أي وجود قرابة صوتية بين الصوتيات التي تطبق عليها، وهذه حال الأحكام العروضية أيضا، فالذي سوغ حكم الخرم في فَعُولُن، مَفَاعِيلُن، مُفَاعَلَتُنْ، هو وجود وتد له بناء عروضي يبدأ بمتحرك، والآن يجب أن نحدد القرابة الصوتية (= المقطعية) التي تسوغ اشتقاق الأجزاء العروضية الفرعية من نظائرها الأصلية، حيث يفهم من كلام الدماميني، المذكور أعلاه، أن الأجزاء االعروضية الأصلية:فَعُولُن، مَفَاعِيلُن، مُفَاعَلَتُنْ، لها ثلاثة أجزاء فرعية، هي: فَاعِلُن، مُسْتَفْعِلُن، مُتَفَاعِلُن، فأي قرابة عروضية ومقطعية تسوغ اشتقاق هذه الأخيرة من الأولى؟

1. 3. القرابة العروضية والمقطعية بين فَعُولُن، و فَاعِلُن:

هذان الجزآن متكافئان عروضيا، فكل منهما يتكون من وتد وسبب واحد، وينتميان إلى نفس الدائرة العروضية، وهي الدائرة الخامسة التي تتكون من بحرين، الأول أصل الدائرة، وهو المتقارب، الذي يتكون بناؤه العروضي من الجزء فَعُولُن، الذي يتقدم فيه الوتد على السبب، أما البحر الثاني في هذه الدائرة العروضية فهو المتدارك، وجزؤه العروضي هو:فَاعِلُن، حيث يتقدم فيه السبب على الوتد، و يمكن أن نمثل لهذه العلاقة الاشتقاقية بين الجزأين على النحو التالي:

البحر المتقارب:

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

[و.س.خ] [و.س.خ] [و.س.خ] [و.س.خ] [و.س.خ] [و.س.خ] [و.س.خ] [و.س.خ]

[16] انظر أمثلة على ذلك في كتاب الإقناع في القراءات السبع (ص. 253 و ما بعدها).

البحر المتدارك:

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن

[سخ▪و.] [سخ▪و.] [سخ▪و.] [سخ▪و.] [سخ▪و.] [سخ▪و.] [سخ▪و.] [سخ▪و.]

وهذا التكافؤ العروضي بينَفعُ ولُن، وفَاعِلُن، يصاحبه تساوي الجزأين في البناء المقطعي أيضا، فكل منهما يتكون من ثلاثة مقاطع: مقطع خفيف، وآخر ثقيل مفتوح، وثالث ثقيل مغلق، وهذه هي المقاطع الأصلية في اللغة العربية، ولا يفرق بين الجزأين مقطعيا، سوى تقدم المقطع الخفيف على الثقيل المفتوح فَعُ ولُن، وتقدم هذا الأخير على الأول فيفَاعِلُن.

1. 4. القرابة العروضية والمقطعية بين فَاعِلُن ، و مُسْتَفْعِلُن:

وهذا الجزآن متساويان عروضيا كذلك، فكل منهما يتكون من وتد وسببين خفيفين، وكل منهما ينتمي أيضا إلى نفس الدائرة الثالثة، التي تتكون من ثلاثة بحور، هي الهزج، والرجز، والرمل، و يتموضع البحر الأول باعتباره أصل هذه الدائرة، لأن الجزء العروضي الذي يتكون منه، يبدأ بوتد متلو بسببين خفيفين، أما البحر الثاني، أي الرجز، فيعد مشتقا من الهزج بتقديم السببين على الوتد على النحو التالي:

البحر الهزج:

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

[و.سخ▪سخ▪] [و.سخ▪سخ▪] [و.سخ▪سخ▪] [و.سخ▪سخ▪] [و.سخ▪سخ▪] [و.سخ▪سخ▪]

البحر الرجز:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

[سخ▪سخ▪و.] [سخ▪سخ▪و] [سخ▪سخ▪و] [سخ▪سخ▪و] [سخ▪سخ▪و] [سخ▪سخ▪و]

ويصاحب هذا التساوي العروضي بين فَاعِلُن، ومُسْتَفْعِلُن، تساو في المقاطع التي تشكل البناء المقطعي لكل منهما، فمن حيث العدد لكل منها أربعة مقاطع، ومن حيث الشكل، يتكون البناء المقطعي لمفاعيلن، من مقطع خفيف، وثلاثة مقاطع ثقيلة، اثنان

منهما مفتوحان، والثالث مغلق،والأمر كذلك في مستفعلن، إلا أن المقاطع الثقيلة لهذا الجزء كلها مغلقة، وينفرد هذا الجزء بهذا البناء المقطعي من بين الأجزاء العروضية الثمانية، التي منها ماله مقطع ثقيل مفتوح واحد، كما في: فعولن، فاعلن، مفاعلتن، متفاعلن، ومنها ما يملك مقطعين ثقيلين مفتوحين، كما في: مفاعيلن، فاعلاتن، مفعولات. ويبقى مستفعلن الجزء الوحيد في العروض العربي الذي لا يملك مقطعا ثقيلا مفتوحا.

وبما أن العروض العربي عروض كمّي، فإن المقاطع الثقيلة المفتوحة هي التي تحمل نبر الكثافة [17] (accent d'intensité) الذي يزيد في كمية الحركات وُمدَّتها ليجعلها طويلة، حتى تتناوب مع نظيراتها القصيرة، ويحصل إيقاع (rhythme) فيه تتناوب بين المقاطع الثقيلة والخفيفة.[18] وقد وقف تلميذا الخليل، الأخفش وسيبويه، على هذه الزيادة في مدة الحركات القصيرة في القوافي المطلقة، ولاحظا معا أن العرب في إنشادها للشعر " إذا ترنّموا، فإنهم يُلحقون الألف والياء والواو ... لأنهم أرادوا مدَّ الصوت."[19] أي يشبعون حركات الروي القصيرة لتصبح طويلة. ومثل ذلك قول الأخفش: "إذا أرادوا الحُداءَ والغناءَ والترنم، فإن كلهم يتبع الروي المضموم واوا، والمفتوح ألفا، والمكسور ياء ... وإنما ألحقوا هذه الحروف إذا أرادوا الترنم، لأن الصوت لا يجري في غيرها."[20] أي أن تمديد الصوت يكون في الحركات (= الصوائت)، دون غيرها. لأن الحركات عي التي تحمل الأنغام لأنها تحتل قمة هرمية الجهارة [21](sonorité) ، ولكن هذه الزيادة في مدة (durée) الحركات غير مقصورة على حركات الأجزاء العروضية التي تظهر في القوافي المطلقة، وإنما بفعل نبر الكثافة الذي يضغط على الحركات للزيادة في مدتها، يمكن لهذه الزيادة أن تظهر أيضا حتى في حركات الأجزاء العروضية التي توجد داخل البيت الشعري.

---

[17] ويسمي ستانسلاس گوييار Stanislas (1886 : 15-18) نبر الكثافة (ictus)، ويرى أن الضغط intensité يكون فيه على المقطع الثقيل كله، بخلاف النبر النغمي accent tonique الذي يقع على الحركات، حيث يزيد في علوها hauteur ، بينما يزيد نبر الكثافة في كمية quantité الحركات في المقاطع الثقيلة المفتوحة.

[18] ستانسلاس گوييار (25 : 1886).

[19] انظر: " باب وجوه القوافي في الإنشاد" في كتاب سيبويه (204/4).

[20] الأخفش، كتاب القوافي، ص. 104 – 105.

[21] عن هذه الهرمية انظر البحث السابع من كتابنا " أبحاث صواتية وصرافية في اللغة العربية"، ص. 167 وما بعدها.

وبما أن مواضع نبر الكثافة هي الحركات الطويلة في المقاطع الثقيلة المفتوحة، فإن هذا النبر الضاغط يظهر في كل الأجزاء العروضية، عدا جزء واحد هو: مستفعلن، لغياب الحركات الطويلة في مقاطعه الثقيلة الثلاثة، وبما أن هذا الغياب لنبر الكثافة وارد في جزء واحد من الأجزاء العروضية الثمانية، وفي بحر واحد من البحور الستة عشر، اعتبر العروضيون العرب القدامى، ما جاء من نظم على هذا البحر رجزا وليس شعرا، وميزوا بين الشاعر والراجز، والقصيدة والأرجوزة، وإذا كانوا قد أجمعوا على الفصل بين الشعر والرجز، فلا أحد منهم قدم لنا تعليلا عروضيا مقنعا يسوغ هذا الفصل في المنظوم، بين ما هو شعر وما هو رجز، ويبدو أن غياب مفهومين أساسين في العروض العربي، هما: المقطع والإيقاع، في تحليلاتهم العروضية، هو الذي حجب عنهم التفسير الصواتي البروزودي الذي قدمناه لهذا الفصل بين بحري الهزج والرجز، اللذين لهما نفس الوحدات العروضية التقليدية (وتد وسببان خفيفان)، ولهما نفس البناء المقطعي من حيث العدد (مقطع خفيف وثلاثة مقاطع ثقيلة)، ولكن من حيث الشكل البحر الأول يملك مقطعان ثقيلان مفتوحان، يكونان سياقا ملائما لنبر الكثافة، ومجالا خصبا للترنم والغناء، ولكن المقاطع الثلاثة في البحر الثاني كلها مغلقة، تغلق المجال أمام نبر الكثافة، وربما تغلقه أيضا "الحامُداُء والغناء والترنم"، ولذلك اعتبر العروضيون العرب القدامى، ماجاء من نظم على: مُفْعِلُن، رجزا، وما جاء منه على: فَاعِلُن، شعرا.

1. 5. القرابة العروضية والمقطعية بين فَاعَلَتُنْ ، ومُتفَاعِلُنْ:

عروضيا، ينفرد هذان الجزآن بوحدة عروضية تسمى السبب الثقيل، تتمثل في تجاور متحركين هـ ما:[ع ـَ ل ـَ] في: فَاعَلَتُنْ، و [م ـُ ت ـَ] في مُتَفاعِلُنْ، وفي كلا الجزأين ثلاثة وحدات عروضية، وتد وسبب خفيف وآخر ثقيل، وهذا التماثل العروضي وضعهما في دائرة واحدة هي الدائرة الثانية، التي تتكون من بحرين هما: الوافر والكامل، حيث يتموضع الجزر الأول باعتباره أصل هذه الدائرة. لأنه هو الذي يبدأ بوتد متلو بسبب ثقيل، ويشتق منه الثاني حيث يتقدم السبب على الوتد، على هذا النحو:

2. 1. البحر الوافر:

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

[و.س ث. س خ.] [و.س ث. س خ.] [و.س ث. س خ.] [و.س ث. س خ.] [و.س ث. س خ.] [و.س ث. س خ.]

2. 2. البحر الكامل:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

[س ث. .س خ. و] [س ث. .س خ. و] [س ث. .س خ. و] [س ث. .س خ. و] [س ث. .س خ. و] [س ث. .س خ. و]

ويوازي هذا التماثل العروضي، تماثل مقطعي بين الجزأين، ذلك أن في كليهما خمسة مقاطع، ثلاثة مقاطع خفيفة، ومقطعان ثقيلان، أحدهما ثقيل مفتوح والثاني ثقيل مغلق.

و يتبين من كل ما تقدم، في هذا التحليل العروضي والمقطعي للأجزاء العروضية الأصلية ونظائرها الفرعية، أن العلاقة الاشتقاقية بين الصنفين قائمة على نظرية التقاليب[22] التي نقلها الخليل من معجم اللغة العربية، أي كتاب العين، إلى عروضها، حيث تتبادل الصوتيات العربية مواضعها داخل الجذور، نحو: √ض ر ب، √ض ب ر، √ب ر ض، √ ب ض ر ، √ر ض ب، √ر ب ض،[23] وحيث تتبادل الوحدات العروضية مواضعها داخل الأجزاء العروضية على النحو الذي بيناه، فيكون هناك أصل وفرع مشتق منه بواسطة عملية التقديم والتأخير: وهكذا فإن الأجزاء الأصول الثلاثة في العروض العربي هي التي يتقدم فيها الوتد على سبب أو سببين، بينما الأجزاء الفرعية المشتقة منها، هي التي يتقدم فيها سبب أو سببان على الوتد، على هذا النحو:

فعولن	مفاعيلن	مفاعلتن
[و.س خ.]	[و.س خ.س خ.]	[و.س ث. س خ.]
[س خ.و.]	[س خ.س خ.و.]	[س ث. .س خ. و]
فاعلن	مستفعلن	متفاعلن

[22] هذه النظرية هي التي اصطلح ابن جني في كتابه الخصائص على تسميتها« الاشتقاق الأكبر »، ولنا مقاربة لسانية لهذه النظرية منشورة في أعمال ندوة: جدلية النقد والإبداع في الآداب والعلوم الإنسانية ، إعداد: إدريس موحتات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، سلسلة الندوات: 46 ، طبعة دجنبر، 2016.

[23] كتاب العين (59/1).